(١٧)

من الحق إلى الخلق و من الخلق إلى الحق
تبليغ بحكمة و ريادة بيقين

حديث الجمعة

١٧ محرم ١٣٨٤ هـ - ٢٩ مايو ١٩٦٤ م

نشهد أنه لا إله إلا الله.. بها ندخل حصن الله، وبها نعلم أن الله لا إله غيره، ولا موجود ولا معبود سواه. ما عَرَفَه إلا أسماؤه، وما شهده إلا معناه، وما ظهره إلا عباده، وما قامه إلا من رآه مولاه بإنسان لاسم مولاه، لإنسان لعين مولاه، لإنسان في مولاه إنسانا لذات الله (يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات)[١] يوم قام في مبناه وفي معناه، قياما للا إله إلا الله.

قامها بعثا بالحق، مبلغا حكيما محمد الله، وعبد الله، وإنسان الله، ورسول الله، وحق الله، وقامها بعثا برسول الله، بالحق رائدا عليما، عَليٌّ الله، وعبد الله، وطريق الله، وآدم الله، وإمام الناس.

بهما وضع البيت للناس يذكر فيه اسم الله، ورفعت قواعده بين ظهرانيهم، على ما عهد إلى إبراهيم وإسماعيل من قبل. {وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود}[٢] بتطهير قلوبهم، ساحة رحمة للمؤمنين، بها يقومون ويعملون، قلوبا هي جنة لطالبيها، وساحة رحبة لله رب العالمين لداخليها. وهو عين ما قام به موسى وهارون يوم جعل الله من بيوتهم قبلة للناس بمصر.

وهو ما يجعله الله لعباده بيوتا مرفوعة أو بيوتا موضوعة يذكر فيها اسمه. كان محمد وعليّ أول بيت وضع للناس على وجه التعميم يستكمل لبناته بعترتهما، ويستكمل ظهوره بأمتهما، فتستكمل البشرية به استقامتها، وتستقبل للصلاة والحجيج قبلتها، كافة للناس.

إنسان سَلْم لإنسان في معراج الإنسان في الله ذي المعارج، أزواجا يقوم، ذات قدس للعيان، عَلما على الأقدس في كنزيتها هي في العلم والعرفان، فالأقدس والأقدس لاستقامة العقيدة، وتحقيق معنى الإحسان، في الموجود المطلق القائم بدءا، على كل إنسان في القيام، قائما به بقيام العنوان من

الإحسان، خفيا عن الظهور والعيان. وبالأعلى قائما عليه أمر الله قائما في دوام، يقوم بدين الفطرة، بدين القيمة. الإنسان رب الإنسان، والإنسان عبد الإنسان، الله لهما، والله بهما، وهما لله، وبالله، وذلك أمر الفطرة إلى القديم أو إلى القادم على سواء. {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}[٣].

يجادل معظم الناس في الله، في كل زمان، وفي كل مكان، ولا علم لهم عن الله، ولا علم لهم بالله، ولا علم لهم من الله، ويتبعون كل شيطان مريد، باسم مولاهم، وباسم معناه، يعنونه رسولا لله، وحقا لله من دون الله، ويجهلون أنه لا حول ولا قوة إلا بالله. إنما هي فتنته واختباره للمؤمنين، ولو شاء الله ما فعلوه، وما قاموه بطغيان أنفسهم وظلمها لهم ظالمين.

(سل عن الرفيق قبل الطريق)[٤]، والطريق والرفيق حق للعتيق، للمتقي النقي الوثيق، الذي انقاد فسيق. إن الطريق إلى الله.. إن الطريق إلى الحق الخالق.. إن الطريق من الخلق.. إن الطريق للخلق، إنما هي طريق الإنسان، من الإنسان خلقا إلى الإنسان حقا، أما الحكمة وطريقها وبلاغها من الإنسان حقا إلى الإنسان خلقا، فحاضر الإنسان، هو رسول قديم الإنسان إلى قادم الإنسان، ومن حاضر الإنسان عبدا وحقا رسولا من أزلي الإنسان إلى أبدي الإنسان، تبدأ الطريق وتظهر الطريق. (فليبلغ الحاضر منكم الغائب[٥].. ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[٦].

تظهر الطريق من قديم الإنسان إلى قادمه، بقائم الإنسان قائما بقديمه وقادمه حقا وخلقا في قيامه بظاهره لباطنه. فالإنسان بحاضره هو الأمة الوسط، بين أمم الإنسان بقديمه، وأمم الإنسان بقادمه، في أزل للإنسان لا بدء له، إلى أبد للإنسان لا انتهاء له. (أعلمني الله في موقفي هذا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة) [٧].

إن الإنسان في قائمه، بعمله يصدر عنه ويعان عليه، تتحدد مكانته، ويتكيف لونه، ويأخذ مكانه لوضعه من طبقته الإنسانية، بحكم قانونها بإرادة المطلق لها، {في أي صورة ما شاء ركبك}[٨]، (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[٩]، أينما تولوا فما ولى حيثما ولى بكم إلا وجه الله لكم، يلحقكم لطيفه، ولا يمنعكم من الاتصاف باسمه تشريفه، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[١٠]، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}[١١].

ما اتصف الحق يوم اتصف في بلاغ بحكمة أو في تعريف بعلم إلا بما هي صفات الإنسان، وما يتصف به الإنسان، وما يطمع أن يتصف به الإنسان. هكذا كان وغيره لا يكون. فالحقيقة تنزهت عن الإطلاق ظهورا بالتقييد، وتنزهت عن التقييد بالإنسان فيها وبها ولها وإليها ومنها إلى واحدية معناها وأحدية مطلقها، للانهائي قيامها بآحاد الإنسان، لا يتوقف تعاليها وانتشارها لملء فراغ الوجود بالحياة.

إن رسالة الفطرة، قامها رسول الفطرة، وعنوان الفطرة، وقانون الفطرة، مَن عرفناه بيننا محمدًا، ومن شَرُفناه لأنفسنا ظلالا له آدمًا، أو أبناء لآدم، أو جديدا لآدم، فأدركناه سبقا لآدم لمعنى أنفسنا نفسا له، وأصلا لآدم يوم صرنا به بيوتا في مدينته بأهلها ذكرا لله ولله ذاكرين، أوادم أنفسنا لبيوت معانينا. ولكنه ظهر لنا قدوة وأسوة وتيسيرا لنا، فرعا لآدم مع أنه في قيامه قائم الفطرة بأصلها وفرعها، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، الظاهر في كل شيء والباطن لكل شيء، ولكل باطن.

عنونت ذات محمد عندنا من الإنسان معنىً، وعنونت معاني محمدٍ من معاني الإنسان عندنا، معنىً ومعنىً. وعنونت حكمة وقدرات محمد لقدرات وحكمة الإنسان عندنا، وصفا لحكمة الله، ولقدرات من قدرات الله، وصفا ومعنى. هي لنا يوم نكون به الإنسان حقا وعبدا.. عبدا قائما بمراد ربه لقيامه نفسا لنفسه، وعَلَمًا لعنوانه، فيصبح الإنسان به اسما لله، وحقا من حقائقه لا عد ولا حصر لها، أحد نفسه لآحاده له، لأحدية أحده، بين آحاد لله تجمعها أحدية المطلق لمطلق وجوده، للانهائيته.

ظهر محمد بيننا بمجال من مجالات الإنسان، وتكنز علينا عنا منه بالكثير من مجالات الإنسان، قام بها وقامت فيه، (ما عرفني غير ربي)[١٢]. ولم يمنع عنا أن يكون لنا ما كان له مما عرفنا ومما لم نعرف، فما كان له ما كان له إلا بالفطرة.. ولا يكون لنا ما يكون لنا في متابعته إلا تحت سلطان أحكام وقوانين الفطرة، من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[١٣]، لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه.

ما أبرزت الفطرة محمدا عنوانا لها إلا ليكون كافة للناس، ما استقاموا استقامته، وما تابعوه على سنته، وما عملوا بما عمل، وهدفوا إلى ما إليه هدف، مثل لهم جماع حيواته في صفات حياته بينهم.

ارتفعت همته عن الدنيا غنيمة، وعن الآخرة مغنومة، إلى طلب الحق، إلى معرفة الله، إلى العلم بالحقيقة، إلى كشف الغطاء عن نفسه ما تكون، ومن أين جاءت، والى أين تصير، زهدا في موجوده ونشدانا لمقصوده، زهدا في موجوده من الدنيا يتواجده، ومن الآخرة يعرفه ويشهده، إلى منشوده من الحق يلقاه ويسعده.

طلب الله ولم يخيب الله طلبه. عمل للآخرة وجعل من الأولى مزرعته، فسار إلى غايته بخطىً ثابتة، وإن كانت وئيدة، وأسرع في حدود طاقته من الإسراع، ولم يحمل حيوانه أكثر مما يطيق، أبقى ظهره سليما يمتطيه، فأفاض الله عليه من نوره، وجعل ما أفاض معنى الكتاب إليه، وجعل مما أدرك فأبرز

وبه تحدث معنى الكتاب إلينا، وجعل ما هو منه إلينا عين ما هو من الله إليه، فجعل الله ما هو منه إلينا هو ما من الله إلينا.

وقد أضافه الله إليه حقا إذ جعله منه، بما أنزل عليه من نوره صاره، فجعله إلينا يده ممتدة، ووجهه مشرقا، وجعله بيننا وفينا معاني الحق لنا، وقيام الحق بيننا، رسولا من أنفسنا، جديد قديمه، وقائم جديده، وحق دائمه، وعين قادمه من أنفسنا، والمثل الأعلى له بيننا لنفسه ارتضاه ويرتضيه...

كافةً للناس وبشرى لهم من ربهم على حاله، وعلى مثاله برحمة الله معه يكونون، يوم هم للحق يطلبون، ولتحقيقه لأنفسهم يعملون، ولأمر الله يصبرون، والمثل الأعلى يتابعون، جديدا لقديم يشهدون، وبالحق بينهم يتواصون.

يذكرون الله لا يغفلون، ويراقبون قائم الله عليهم، عليه لا يتجاسرون، بل الله قريبا يتقون، وقائما يذكرون، وظاهرا يشهدون، ولجلاله يسجدون، ولجماله يعشقون، ولشدة قربه يخشعون ويرهبون، معه فيما يقومون ويعملون يتعاملون، ومن ضمائرهم رقيبة على أنفسهم يحذرون، فلا يخدعون ولا يخدعون، ولا يخادعون، يحبون لإخوانهم ما لأنفسهم يحبون، فلا لحق عرفوا يكتمون، ولا بنور اغترفوا عن البذل يمتنعون، ولا بدنيا ملكوا يبخلون، كرماءً يوصفون، والله عندهم كريم به يقتدون، وبخلقه يتخلقون، ومما رزقهم ينفقون، لا متفضلين، ولا مانين، ولا محتالين.

وهم عن مواصلة الكسب انتظارا لما يجزى ويعطي غير متوانين، أنفقوا وينفقون، حققوا المغانم، ولغنم ينتظرون، عملوا ويعملون، كسبوا ويكسبون، أعطوا ويعطون، حققوا ما أملوا، وما زالوا مؤملين، وما زالوا لأمل محققين، أولئك هم المسلمون.

هناك شجرة لا يسقط ورقها، هي شبه المسلم، تؤتي أكلها كل حين، هي عماتكم النخيل، فجددوا معاني الآباء في أزل الإنسان، لله ورسوله مسلمين، كلمات طيبة، شجرات طيبة، أصلها في أرضها ثابت، وفرعها في السماء متصاعد، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، لا يسقط ورقها، ولا ترد إلى الأرض من السماء أعمالها بتجديد جلود أبنائها. كونوا مساكين المتارب {مسكينا ذا متربة}[١٤]، يتماء القرب، {يتيما ذا مقربة}[١٥]، أصول الوجود، وكلمات التواجد، الإنسان بيت وجماع بيوت، (إن آخر من يخرج من النار، إن آخر من يخرج من الدنيا، يعطي عشر أضعاف هذه الأرض)[١٦]

ليس إنسانا ولا يوصف بإنسان، إلا من كانت الشمس عليه العنوان، جعلت الشمس عليه دليلا، داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، جعل الشمس سراجا والقمر نورا، نار الله الموقدة، أن بورك من في النار ومن حولها. إنه الإنسان في فطرته.. إنه الإنسان في عترته.. إنه الإنسان في جبلته.. إنه الإنسان

في معراج من معارج قدرته. {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[١٧] {أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى}[١٨]، {وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا}[١٩].

إنسان الفطرة.. إنسان الطبيعة.. إنسان الذات.. إنسان الظهور.. إنسان العلمية.. إنسان الوجود.. هذه أطوار للإنسان لذاتيته. وله أطوار في معنويته فهو إنسان الله.. إنسان المعنى.. إنسان الغيب.. إنسان العلم.. إنسان الحكمة.. إنسان الإرادة.. إنسان التدبير.. إنسان التعليم.. إنسان العلم.. إنسان ما وراء الإنسان. هذه أسماء وألوان للإنسان في معراج من معارج إنسانيته، إنها حق أكبر من حقائق الإنسان لمشهود حاضره.

إنسان القدرة.. إنسان الطاقة.. إنسان العزة.. إنسان الجبروت.. إنسان اللاهوت.. إنسان الملكوت.. إنسان المُلك.. إنسان الناسوت.. إنسان الوجود.. إنسان الإحاطة.. إنسان الإطلاق.. إنسان اللانهاية.. إنسان العناية.. إنسان ما وراء الإنسانية، فطرة، ومعنى، وأسماءً، وصفاتٍ.. إنسان الإنسانية.. إنسان الرحمة.. إنسان الرحمنة.. إنسان الرحمن.. إنسان الرحمانية. إنسان كل شيء.. هذا أمر من أمور، وحق من حقائق للإنسان في انعكاسه إلى نفسه بعيدا عن كونه.

إن الإنسان كما هو جماع الخلائق في خلقته، فهو جماع الحقائق في حقيقته، وهو مظاهر الخلائق ومُظاهر الحقائق، ومُظاهر ما ظاهرت الخلائق والحقائق في معراجه إليه.. إنسان ما وراء كل شيء.. إنسان لا نهائي الخلائق.. إنسان لانهائي الحقائق.. إنسان الخلق والخالق.

إن الذي ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، جعل من الإنسان كل شيء، وكل عنوان، فما طلب الإنسان يوم طلب الله إلا الإنسان، وما طلب الإنسان الله يوم يطلبه فيكون له طالبا إلا يوم يطلبه في نفسه. إن الله لا مكان له حتى تذهب إليه حيث مكان، لا من قبلة دعاء بسماء أو قبلة حجيج ببيت. إن البيت ما جعل منسكه إلا أسلوبا من أساليب التعليم، وطريقا من طرق التوجيه، ووسيلة لتوجيه طاقة الدائرة الإنسانية إلى المركز المتماسك للقلوب المتحدة، لإنسان الذات مركزا للدائرة الروحية. إن ملكوت الله بين جوانح الإنسان يوم ينعكس الإنسان ببصيرته إلى نفسه، فيشرق منه لبصره ببصيرته أمره بلطيفه من الله له لطيفا لله، فيراه وجها لمن هو من ورائه بإحاطته، مكشوفا عنه غطاؤه، بصره حديد، فإذا نظر إلى الوجود فما نظر إلا في مرآة له، فيراه يوم يراه وجها لله، يشهده في مرآته من الوجود، وما كان الوجود إلا دثار قدسه، قام عَلَمًا على الأقدس، { يا أيها المدثر قم فأنذر}[٢٠] فما تدثر الإنسان إلا بالوجود، عالما قام في حجب الظلام، أو في حجب النور، لقائم سره بسر

ربه قائما على نفسه بما يكسب من أمره، محجوبا عنه بحجابه عن نفسه أو مكشوفا له برفع الغطاء عنه.

هذه هي تعاليم وهدي الإسلام، إن كنا نريد أن نعرف تعاليمِ وهدي الإسلام، أما إذا كنا نريد أن نضع تعاليم من وحي أنفسنا مجانبين التعاليم الفطرية المقامة حَملها مسحاء الفطرة ومُعبِّدوها، مُنبأة، مُنبئَة، وعين النَبَأ، فيما تُنبئ، مضافة إلى قديم أزلي من الإنسان، حية عاملة في صبر وتؤدة بعنوان من إنسان، هادفة إلى قادم أبدي للإنسان، تزرعه في حاضرها من الإنسان، مرضاةً لربها بقديمه من الإنسان، ربا راعيا لعبدها في قادمه بعبدها في قائمه...

فالإنسانية بحاضرها عبودية قديمها وربوبية قادمها، رسالة متجددةً، وقيامة متعددة، في قائم من إنسان آدم لها، يجمعها حاضرًا بعنوان، لغيب له يعنونه ببيان، رسولا من أنفسنا في دوام، يدعو إلى الله على بصيرة، هو ومن يتبعه، رسالة دائبة على ما كان أوله عنده، وعلى ما قام آخرا لأول إليه.

عرفه من تعارف إلينا أول العابدين ممن عرفنا عمن نعرف من العارفين بقديم وجديد، يدعو إلى الله على بصيرة هو ومن يتبعه، قائما متقلبا في الساجدين، حاضرا، عاملا، ساعيا، دائبا بين القائمين عبدا للرحمن إلى حين، يتجدد في عبدِ للرحمن إلى حين، يتجدد العنوان ويبقى الأصل للعيان، لا جديد ولا قديم. يتجدد على تعاقب متواصل بظلال لأصل، كما يتجدد بأصوله على تباعد أصولا وظلالا للمعروف، وتواجدا لواجب الوجود بأسمائه، ووجوهه، بعباده وحقائقه.

هذا ما حققه لنفسه وقدمه لنا من وصفناه خاتم النبيين، وأول العابدين، وما عرفناه في نبيئين، وما انقطع عن الأرض به النبيئون باسم العلماء العاملين والأئمة العارفين. وما طلبناه في عابدين، وما انقطع به الأولياء والعباد الواصلين الموصولين. وما تبعناه ناظرين، بل عليه في دوام مستكبرين، بوهم المثال له لأنفسنا زاعمين...

وهو المثل الأعلى ضُرب لنا يوم أن نكون للمثل الأعلى طالبين، وما نكون للمثل الأعلى طالبين إلا يوم نكون لله ساجدين، وبأنفسنا له عابدين، بعقولنا مجاهدين، وبعجزنا حائرين، مُجهَدين، محزونين، فيرق لنا الأعلى ورب العالمين، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[٢١] فيجمعنا على عبادٍ له من عابدين، هم بالله خبيرين، وهم لله خاشعين، وهم من ذكرهم لقربه وجلين، وهم على ذكره عاكفين، آناء الليل وأطراف النهار، قائمين قاعدين، راكعين ساجدين، مصلين، ساعين، مع الناس لوجهه متعاملين، لا يمنعون الماعون، ولا يردون السائلين، ويطلبون الطالبين، ويسعون إلى الساعين، رحمة من الله أرحم

الراحمين، أحواض رحمته للعالمين. مثلهم الأعلى أول العابدين وطابع النبيين العاملين، رسول الله بكل دين، وحق الله للواصلين، ووجه الله للعاشقين، وعلم الله للمتقين، وكتاب الله للعالمين.

بهذا جاءنا الدين، وقام من بيننا فيه رجال على يقين، فما تابعناهم على دين، ولا سمعناهم على يقين، ولا ذكرناهم متوسلين، ولا عرفناهم بيننا متجددين، على الدين كله مظهرين، بل أغفلناهم مظاهرين إلى شيطان أنفسنا على أنفسنا عاكفين، وعلى شياطين بيننا متجمعين، وبالشيطنة متواصين، للقول مزخرفين، نلبس الباطل ثوب الحق مزورين باسم الرحمة والدين، وباسم العلم واليقين.. شياطين الإنس إلى شياطين الإنس متجمعين، وبيوتا للشيطان يذكر فيها باسم الرحمن مشيدين. فإذا اجتمع لجمعهم شياطين الجن في نفوسهم سارين ولدمائهم ملوثين، زعموهم العارفين، والعالمين الواصلين، والأنبياء المكلفين، والأولياء المقامين، والرواد الراعين.

سبحان الله.. إلى متى هذا!!؟ كل أمر من الضلالة إلى حين، فهلا حان الحين! أما أمر الله للطالبين فلا حين، ولكنه في كل وقت وحين، ما تحين الإنسان حين دورته فلم يفرط في أمره، وجاهد في أمر الدين، صادقا، مصدقا، صافيا، لنفسه مصفيا، لا يفكر في المتابِعين، المتابِعين له على ما يدين، ولكن يفكر في نفسه، ومن يتبع هو لنفسه في أمر اليقين. المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل، المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن مرآة أخيه، فلينظر أيكم من يؤاخي.

فليبدأ المرء بنفسه، وليحرص على أمر نفسه. فليبدأ بالانشغال بنفسه، وليجاهد بها ليبحث بها أول ما يجاهد، وأول ما يبحث حتى يعرف لمن يتابع.. ولمن يؤاخي.. مَنْ لنفسه يرتضيه وجها لربه يرتئيه.

وهذه هي المرحلة الأولى للمجاهد لنفسه، فعليه أن يسمع لكل متكلم، وليتأمل في كل ما كُتب، وفي كل ما نُقِل، وليعمل عقله في كل كتاب، وفي كل أمر. وهنا الحلال بين والحرام بين، استفت قلبك وإن أفتوك، وإن أفتوك، وإن أفتوك. وهذه المرحلة يجب أن تقتصر على النفس، وكيف يقودها العقل، وإلامَ يقودها، ومع من تنقاد في أمرها. وهنا يعطيه الكتاب هديه بالمحكم من الآيات، {أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٢٢] هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٢٣]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٢٤]، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢٥]، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}[٢٦]، {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}[٢٧].

كل هذا من محكم الكتاب وغيره الكثير لا يحتاج إلى تأويل أو تفسير. وهنا يأخذ الإنسان لنفسه من الهدي ما يدعو إليه محكم الكتاب، وما يسوقه إليه محكم الكتاب، ومحكم الكتاب يسوق ويدل ويهدي إلى

طلب الإمام.. إلى طلب المعلم.. إلى طلب الرائد.. إلى طلب المرشد.. إلى طلب الرسول.. إلى طلب العالم.. إلى طلب العارف.. إلى طلب الولي.. إلى طلب المؤمن.

ولم يجعل الكتاب شيئا من هذا في أجير عليه، {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}[٢٨]، ولو أن الإنسان سار مع إنسان عرف فيه قدرًا من الحق، وكشف فيه قدرا من الباطل، فتابعه على ما هو حق على ما عرف، وترك أمره لله فيما هو من الباطل على ما قدر، ما تركه الله بل لكان مجاهدا حقا، والله يحب المجاهدين في سبيله، والله يرعى المجاهدين في طريقه.. أبناء السبيل.. أبناء الطريق.. أبناء الكتاب.. أبناء الدين.. أبناء آدم المكرمين.. أبناء الإنسان الواصلين.. أبناء الإنسان العارفين، يتامى الحق، الذين آواهم الحق، بيوتا للحق يقومون، ويتامى الناس يأوون.

بهذا قام الدين.. بهذا قام الكتاب.. بهذا قامت سنة الرسول.. بهذا قامت عترة الرسول.. بهذا قامت ظلال الرسول.. بهذا قام كتاب الله.. بهذا قام كتاب الرسول.. بهذا قام حصن لا إله إلا الله لداخليها، وحوض لا إله إلا الله لورديها.. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[٢٩].

وكم قطعتنا القرون، وكم قطعنا من قرن، وصدق رسول الله، وما صدقناه، فأين هم رؤوس القرون؟ من تابعهم! من تعلمهم! من علمهم! من أعلمهم! لقد أصبحوا بينكم المقابر، فأين هي المنابر؟ ما أسكتم منابر الشيطان بمنابرهم بينكم في دوام تقوم، بل أعليتم منابر الشيطان منكم باسم منابر الرحمن، وفتنتم الناس بمقابر لتراب اللاهوت، واللاهوت في ناسوته منكم حي يرزق وحي لا يموت.

فقهاؤكم في الدَرك الأسفل من النار بمعانيهم بينكم يتتابعون، وأنتم معهم على أمة لآباء تتابعون، وبوهم السلف الصالح لهم تذكرون والتابعين وتابع التابعين بإحسان، كما تتوهمون وبألسنتكم تلوكون، تهرِفون بما لا تعرفون، وما ذكرتم يوم ذكرتم إلا كل تافه أو مختال أو مأفون، وكما خاصم آباؤكم من خاصم، وذكرهم ومثلهم تخاصمون.

لقد وقع القول عليكم، وازينت دنياكم بكم وبعملكم، ها أنتم زخرف الدنيا.. وها أنتم زخرف الدنيا تعبدون.. وها أنتم أمر الشيطان تقومون، وأمر الشيطان تقتدون.. وها أنتم أغطيتكم عنكم بقدرة الله تتكشفون، وأنفسكم تكادوا تلمسون، فإذا أنتم المبلسون، فإلى متى أمر الله تنتظرون، وحق الله لأنفسكم لا تدركون، وآيات الله تترى في أنفسكم وفي الآفاق من حولكم، ولا تعلمون، ولا تنظرون؟ كم من قارعة أبرزها الله لتقرعوا بها حتى تفيقوا، وأنتم في غطيط نومكم لا تفيقون ولا تقرعون.

كوبلي ومثالها، في إيران، وفي أورليانز، وفي كل مكان، وألوان من القوارع، وغيرها من ألوان الآيات ولا تتبصرون. انظروا.. ها هي فطرة الله تتحدث، كما يحمل إليكم النبأ اليوم، إذ تزلزل الأرض اليوم زلزالا خفيفا لا ضر منه تودع به رجلا من رجال الله، وعبدا من عباد الله، تسمعون منه الخير، ويصلكم منه الخير، وبغير الخير من الإسلام والسلام له تصفون، هو رجل الإنسانية التي فقدت الأرض بأمسكم، فرحبت به السماء، وبكت عليه الأرض، وعبرت عن بكائها بلطيف زلزالها ساعة الاحتفال بتشييعه إلى داره الدائمة، فقد كان الرجل رحمة من الله، فكيف يكون نقمة، يوم يفارق، ظاهر قيام إلى باطن قيام!

هو النفس الخالدة بما كسبت، وبما آمنت واعتقدت، وبما عملت، إنه أخونا (نهرو). إنه مؤمن الفطرة.. إنه مسلم الفطرة.. إنه عبد الفطرة.. إنه عِلمُ الفطرة.. إنه أمين الفطرة.. إنه سلام الفطرة.. إنه حكمة الفطرة.. فإلى رحمة الله، وإلى جوار الله، كما تقولون، وما فارق جوار الله قبل أن يرحل، ولا فارقته رحمته، ولن يكون في جديد من جوار لله بعد أن رحل، فقد كان وما هو الآن إلا في جوار الله.

إنه نفس كريمة حية، وعقل مشرق حكيم، وروح طليقة عاملة، في إناء استقامت جوارحه، وتطورت نفسه، وحيا قلبه، وانطلق عقله. إنه إنسان سلم لإنسان في معارج الإنسان بحقه لحقائقه. إنه الحكيم وتلميذ الحكيم، إنه الأمين وتلميذ الأمين، وسوف نراه بيننا عاملا، إن شاء الله قريبا وبعد حين، كما عرفنا من معلمه، ومن عباد الله العاملين، وأرواح الله المرشدين، وحقائق الله القائمين مع رسول الله الأمين، العامل بحقائقه من يوم للدين، إلى يوم للدين، في أيام للدين، وقيامات للدين، بسفور مالك يوم الدين، يوم يبرز الحق للعيان ولليقين، من وقت لوقت، ومن حين لحين.

سبحان الله وتعالى الله عما يصفون، وعز رسول الله على الكاذبين، وما امتنع رسول الله عن الطالبين الصادقين، قاموه ساجدين، قياما للمتحققين، ونورًا للمشرقين، وروحا للمتحررين، وحكمة للعقلاء العاقلين، المحررين من قيود الزمان، ومن قيود المكان، ومن قيود الخلق، إلى طلب الخالق عابدين، حقائق مقربين، يظهر بهم الخالق فيما خلق.. مشرقا بالصبح المبين.

لا إله إلا الله للعالمين العارفين، هم بنور الله قائمين بالحق الأمين، بمحمد رسول الله يقوم ويتقلب في الساجدين، ظلالا له وهداةً معلمين.

اللهم يا من عرفناك غنيا عن العالمين، وعرفنا أننا إليك الفقراء المساكين.. اللهم يا من عرفناك أرحم الراحمين، وعرفنانا بأنفسنا عبادا نكدين، لك كنودين.. اللهم بنورك فأغننا، ومن نور رسولك فغذِّنا،

وبروحه فأعذنا، وصلنا، وأوصلنا، ومن شرور أنفسنا فأنقذنا، فقد عرفنانا بأجسادنا وماديانتا وأوزارنا الشياطين، وعرفنانا بغفلة أنفسنا المبلسين، وعرفناك لأرواحنا أقرب إلينا من حبل الوريد وأرحم الراحمين.

اللهم بك معنا، فأنقذنا مما فينا، وخلصنا مما لنا، وانصرنا على ما بنا، بما هو منك فينا لنا، فانتصر لك فينا، يوم تنصرنا على ما فينا من عزلة عن معناك لمعانينا.. اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وأقمنا حصونا للا إله إلا الله، برسولك.. بعبدك.. بحقك.. بوجهك.. بيدك.. بنورك.. بعلمك.. بحكمتك.. بكتابك.. بهديك.. بطريقك.

اللهم اجعله لنا كل ذلك وأكثر من ذلك، واجعلنا فيه ذلك وأكثر من ذلك، واجعل له منك، ولنا منه، رحمة منك، ومِنَّة منك، خزائن رحمتك. واجعل لنا منه كفلين من رحمتك على ما وعدت.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وارحمنا حكاما ومحكومين، واكفنا شر الأشرار من خلقك، حكاما ومحكومين، واهدنا لطريق السلامة والصواب، حكاما ومحكومين، وأنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(ولأن الله هو فكرة، ولأنه الناموس بالذات، فإن من المستحيل تصوره يخترق الناموس، ولذلك فإنه لا يرسم لنا أعمالنا وينسحب. وعندما نقول الله يحدد أعمالنا، فإننا نستخدم لغة إنسانية، ونحاول أن نضع لله حدودا، بينما هو وناموسه محيطان بكل شيء، ويتحكمان في كل المقادير.

إننا نحيا وسط الموت والهلاك. فما قيمة العمل من أجل مشاريعنا وأغراضنا، عندما يمكن أن تتلاشى إلى العدم في لمحة عين، أو عندما تخطفنا يد الفناء من أعمالنا؟

ولكننا قد نشعر بأنفسنا أقوياء كالصخر الجلمود، إذا استطعنا أن نقول صادقين، "إننا نعمل من أجل الله وغاياته" فعند ذلك لا يهلك شيء. فما يهلك هو ما يبدو لعيننا هالكا. وعند ذلك يتحرر الموت والخراب من كل حقيقة لأن الموت والخراب لن يكون حين ذاك سوى تطوران تحول، من حال إلى حال.

من السهل بمكان القول "أنا لست أومن بالله" ذلك لأنه لن يسمح بأن تقال عنه دون عقاب كل الأقاويل. إنه ينظر إلى أعمالنا ويحكم علينا وفقها، وكل خرق لناموسه يحمل في صلبه عقوبته الحتمية الاضطرارية). (تولستوي)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا *** إسناد عنعنة حتى إلى الذات.

٢ سورة البقرة -١٢٥

٣ سورة آل عمران - ٢ , سورة البقرة - ٢٥٥

٤ "من وصايا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لولده الحسن رضي الله عنه: قال: "يا بني سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار".

٥ حديث شريف: "إِنِّي أُحَدِّثُكُمُ الحديثَ، فَلْيُحَدِّث الحاضرُ منكمُ الغائبَ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحيحَيْنِ مِن حَديثِ أَبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه أَنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعى مِن سامِعٍ"

٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي، فبلَّغَها، فرُبَّ حاملِ فِقهٍ، غيرُ فَقيهٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. كذلك جاء في الصَّحيحَيْنِ مِن حَديثِ أَبي بَكرَةَ رَضيَ اللهُ عنه أَنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: "فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعى مِن سامع"

٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٨ سورة الانفطار - ٨

٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٠ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

١١ البقرة - ١٨٦

١٢ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي". ولم نستدل على سند له في كتب الأحاديث الشريفة.

١٣ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدَّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.

١٤ سورة البلد - ١٦

١٥ سورة البلد - ١٥

١٦ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

١٧ سورة غافر - ٥٧

١٨ سورة القيامة - ٣٧:٣٦

١٩ سورة مريم -٩

٢٠ سورة المدثر – ٢:١

٢١ سورة العنكبوت - ٦٩

٢٢ سورة سبأ- ٤٦

٢٣ سورة الفرقان – ٥٩

٢٤ سورة يوسف - ١٠٨

٢٥ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٢٦ سورة الحجرات -١١

٢٧ سورة يس - ٢١

٢٨ سورة يس - ٢١

٢٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.